حالة وفاء

ملك محروس

obeikan.com

obeikan.com

خرجت وفاء من معركة قد انتهت للتو، قدمت فيها كل أسلحتها من نقاش وجدال ودموع، واستنفذت كل طاقتها، رافعة راية الهزيمة للمرة الثانية بعد المائة، كان هناك حوار دائر منذ قليل، حوار نابع من قلب مهمل مع قلب مغلف بالجمود، فشلت في تليين قلب زوجها الغائب عنها، وفى إرشاد عقله للطريق نحوها، لعله ينشغل بها وتبقى محور اهتمامه، ولو لبعض الوقت، حاولت دائما تقوية رباط الود بينهما لاستمرار حياة زوجية مستقرة لا غبار عليها ولا شائبة، كان دائمًا يقابلها برده المعتاد "أنا لم أقصر في شيء وأعمل ليل نهار من أجلكم، وهذا واجبى نحوكم وأقوم به على أكمل وجه" أرادت دومًا أن تنتشله من برجه العاجي الذى لا يبرحه أبدًا، ومن اختلائه الدائم مع سجائره التي يعشقها بشراهة، بحدٍ جعل زوجته تغار منها!! وتحدث نفسها دائما "كيف يعشق تلك اللعينة ويرافقها يومه كاملا ويتركني، أه لو أعطاني جزءًا من هذا الاهتمام" أرهقت في إفهامه بأنها تريد لها شريكًا لآلامها وأفراحها، شريكًا يشاركها الرأي والمشورة، يستكملان معًا الطريق نحو حياة مجهدة متعبة لا يقوى فيها أحد على السير بمفرده، لكنه ورث مبادئه وقناعاته من مجتمع عقيم الفكر، يرى أن الزوج للعمل ولتوفير المال، ونسى ذلك الجزء الأهم، نسى أن زوجته تحتاج

إلى إنسان وليس ماكينة صرف نقود، نسى إن هناك روحًا تحتاج إليه تحيا به ومعه.

أحيانا تشك في حبه لها، وأحيانا تقنع نفسها بأنها مخطئة، وإنه يحبها بالتأكيد وتبقى متأرجحة على حبل من تمنٍ، يقويه الأمل ويضعفه الأنين، فقد تزوجته منذ سنوات. سنوات كفيلة بأن تجعل كل منهما أمام الأخر كمرآة، يرى فيها نفسه، وكصفحات كتاب مفتوحة تُقرأ سطورها بوضوح، ولكن ما زادتهم السنين إلا بعدًا وجفاءً.

ولإن كل شخص يحمل بعض من سمات اسمه، كانت وفاء كما يقولون اسم على ما يسمى، فهي حقا كانت تُكن لزوجها كل الوفاء، برغم إهماله لها إلا إنها مازالت تحمل بداخلها نورًا يشعرها ببعض الأمل بأنه سوف يتغير.

فهو "كاسر" اسمًا وصفةً، يكسر كل عصاة مساعدة تمتد له من زوجته؛ لترشده نحوها وآمالها نحو تغييره.

لكن وبرغم كل ما سبق إلا إن للقدر لعبة أخرى، جاءت لتنهى وتضع حدًا ونقطة فاصلة في حياة كل منهما وتقلب الحياة رأسًا على عقب، جعلت المسار يسير نحو اتجاه آخر مغاير تمامًا لما كان يسير عليه.

كان كاسر في عزلته المعتادة يستمتع بوحدته المحببة وبسجائره المقربة، ممسكًا بجهازه المحمول، منشغلًا تمامًا بحياته الافتراضية عليه "السوشيال ميديا "سمع أصوات بكاءٍ ونحيبٍ اتخذت طريقها نحو أذنيه، تجاهلها كعادته ولكن ازداد الصوت علوًا مما جعله ينتفض؛ ليرى من أين ذلك الصوت الذي يخنق عليه عزلته!

ذهب خارجًا ليرى زوجته جالسة على أريكة غرفة المعيشة، يمتلئ وجهها بالدموع

. ماذا بكِ؟ لم تبكين هكذا؟

. نظرت إليه بعين تملأها دموع وحسرة وألم.. سكتت لبرهة فكرت ماذا تقول له، ولماذا تقول؟ وما فائدة القول. تحدث نفسها ماذا سيفعل إذا علم بالأمر، هل سيتغير في شيء.. لا جديد.. قد يزداد الامر سوءًا.. فكرت أن تخبئ عليه ولكن اضطرت أن تخبره أمام كم الإصرار الذي رأته منه لمعرفة الأمر، ردت متلعثمة حاولت إخفاء شيء ما، هو لم

يصبر عليه وردد سؤاله ماذا بكِ؟ فقالت. سأموت

ـ ضحك ببلاهة قائلا.. أتمازحينني؟! قولي ما الامر وإلا تركتك وحدك تعانين؟ ها أنا اهتم الآن وأنتِ لا تقدرين ذلك. أخبريني الحقيقة.

. كيف امزح وأنا أبكي هكذا، هل هذا وقت للمزاح ألا تراني أتألم وجعًا ومرارةً. ما أخبرتك به حقيقة.. أنا سأموت.

. تسمر مكانه حاول أن يستوعب الجملة قائلًا كيف ذلك؟

ـ حينما ذهبت أنت إلى طبيبك، وطلب منك أن تقوم بعمل بعض التحاليل والاشعة، فكرت أنا أيضًا أن أذهب إلى طبيبتي؛ لأني كنت أعاني مثلك، وأشكو مما تشكو منه من الألم والسعال، طلبت أن أقوم ببعض التحاليل والأشعة في اليوم التالي، الذي ذهبت فيه إلى المعمل.. وبعدها بثلاثة أيامٍ ذهبت لاستلم النتيجة لي ولك، قال لي طبيب المعمل إن نتائجك سليمة لا شيء بها، أما نتائجي فلابد وأن تعرض على الطبيبة، وعرضت النتائج كافةً على طبيبتي؛ فأخبرتني بالخبر المشؤوم (استكملت كلامها بخنقة كادت تخنق حلقها ومرار تجرعته) أني مصابة بمرض مميت وأيام عمري معدودة.

. كان الخبر كالصاعقة التي دبت في قلب كاسر أيقظته من غفلته، وكنار أذابت جليد مشاعره، وكمطرقة كسرت غلاف قلبه الحديدي، غير مصدقٍ لما يسمع هل هو حقًا الآن يجلس بجوار زوجته، وتخبره بانها ستموت؟! أم إنه ما زال في عزلته هائم في خيالاته؟!هل يحلم أم إنها الحقيقة؟! تسللت بعض دموع جاءت تحاول أن تجد سبيلًا لها نحو عينيه، دموع تحجرت وتجمدت منذ زمن طويل. قد جاء الوقت لتعلن الظهور.

. لم تصدق وفاء تلك الدموع، كذبت عينيها، فلابد وأن الدموع في عيني أنا جعلتني أرى كل شيء يبكي، وكأن المياه تخرج من كل شيء حولي، حتى من عين زوجي (محدثة نفسها).

ـ لا لا أنا لا أصدق هل ستتركينني؟! كيف؟ أنا لا أقدر... لا أستطيع... كيف أكمل حياتي دونك. أنا حتى لا أستطيع تخيلها هكذا لا لا.. سأكون معك في كل خطوات العلاج، لن أتركك سأعالجك لو تطلب الأمر السفر للخارج. ستكونين بخير صدقيني ستكونين بخير.

- وفاء: هل ما أسمعه حقيقي.. هل أنت أنت؟!

ـ نعم حقيقي وأرجوك لا تستسلمي.. على الأقل اتركي لي فرصةً أعوضك، وأقدم لكي اعتذار عن كل ما سبق.. كل شيء سيكون بخير،

وستسير الأمور على ما يرام.

هل يحتاج الإنسان دائمًا إلى قوة خارجية للتغيير، أم إن التغيير ينبع من الداخل؟! هل الإنسان لا يُقدر الأشياء الثمينة حوله إلا وقت فقدانها؟! كيف يجاور الإنسان الورود ولا يشم رائحتها النفاذة العطرة؟! وكيف يذوب السكر في فمه ولا يشعر بحلاوته؟! كانت تلك التساؤلات تدور في ذهن وفاء في الفترة الأخيرة، وخاصةً بعد تغير زوجها التام نحوها، فقد أغدق عليها بحنانه واهتمامه وسؤاله الدائم عنها، فضلاً عن مكوثه معها كل الوقت، يطعمها الطعام يسقيها المياه، طلب منها كثيرًا أن تصفح عنه وتسامحه، حاول إرضائها بالهدايا الكثيرة، والتنزه في الأماكن المحببة إلى قلبها، وهي ما زالت تتساءل. كيف لان قلبه؟ هل نجح مرضها في تغييره.. هل انتصر خبر وفاتها في حدوث شيء طالما تمنته وسعت إليه؟!

حرص دائمًا أن يسألها على التزامها بأخذ الدواء، وحرصت هي يوميًا أن تسقيه عصير البرتقال حتى يظل يتذكرها به بعد وفاتها، كما قالت له.

ولأن عمر الأشياء الجميلة قصيرة كالمعتاد، جاء اليوم الموعود الذي أنهي كل ذلك بسرعة، كتلك السرعة التي بدأت بها، والذي وضع كلمة

النهاية لقصة زوجين عاشا بداية الأمر مبتعدين ثم قربهما المرض، جاء الموت ليتخذ دوره في حياتهما، وقد كان يومًا لا شمس فيه ولا نهار، سحب تراكمت منذ فترة، انتظرت لتشارك في ذلك اليوم وتواسى المجروحين، بقطرات دموعها المتساقطة فوق رؤوس المغادرين والمودعين على حد سواء.

في ذلك الركن البعيد من الشارع المجاور لبيت وفاء أقيم العزاء، تجمع الأهل والأقارب والجيران؛ ليشاركوا الاحزان، وفى المدخل لافتة مكتوب عليها " لقد توفى إلى رحمة الله تعالى " كاسر عبد المقصود" نسألكم الرحمة للفقيد.

وعلى الجانب الأخر تجلس وفاء في عزاء السيدات تستقبل التعازي، شاردة الذهن هائمة بعيدًا سارحة في خيالها تبكي تارة، وتنهمر منها دموع كافية لتوزيعها على كل الحاضرين وتسكت تارة تستكمل شرودها. جاءتها طبيبتها تعزيها قائلة (كيف أخفيتي عنه الحقيقة بتلك البراعة؟!)

. ردت وفاء. نعم ولكن كان للقدر كلمته.

ـ قالت الطبيبة: هوني على نفسك، قد بذلتي معه كل الجهد ولم تقصري معه. وبرغم أنه عولج الآن، فالموت له كلمته العليا.

وما لبث أن انتهى العزاء، وانصرف الحاضرون، ذهبت إلى حجرتها وحدها. أغلقت بابها بإحكام تاركةً محاولات أهلها لمشاركتهم لها الأحزان، طلبت الانفراد وها هي الآن وحدها، فتحت درجًا من أدراج خزانتها الخاصة، كانت قد أخفت فيه شيئًا منذ فترة، أوراق قد بدلتها، احتفظت بسرٍ لا أحد يعلمه سواها هي وطبيبتها وكوب من عصير البرتقال.

تمت

obeikan.com